سورة التكاثر

مكية، وآياتها ٨

[نزلت بعد الكوثر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

ألهاه عن كذا وأقهاه: إذا شغله[1]. و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، وهؤلاء: نحن أكثر. روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددًا، فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم. والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات: عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم. والمعنى: ألهاكم ذلك ـ وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم ـ عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم. أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم. منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتاكم الموت لا همّ لكم غيرها، عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم. وزيارة القبور: عبارة عن الموت. قال [من الرجز]:

لَنْ يُخْلِصَ الْعَامَ خَلِيلٌ عِشْرَا ... ذَاقَ الضِّمَادَ أَوْ يَزُورَ الْقَبْرَا[2]

---

(١) قوله: «وأقهاه إذا شغله» مضروب عليه بخط المصنف في نسخة اهـ من هامش. وفي الصحاح: أقهى الرجل من الطعام إذا احتواه. والقهوة: الخمر. يقال: سميت بذلك لأنها تقتهي، أي تذهب بشهوة الطعام. (ع)

(٢) إني رأيت الضمد شيئًا نكرًا ... لن يخلص العام خليل عشرا
ذاق الضماد أو يزور القبرا =

وقال [من المتقارب]:

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَأَصْبَحَ الْأَمَّ زُوَّارِهَا[1]

وقرأ ابن عباس: «أألهاكم»؟ على الاستفهام الذي معناه التقرير ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم. والتكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم. و (ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم. ثم كرّر التنبيه أيضًا وقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم: لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه؛ ولكنكم ضلال جهلة؛ ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به؛ وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه، وهو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد، وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب؛ وكرّره معطوفًا بثم تغليظًا في التهديد وزيادة في التهويل. وقرئ: لترؤن، بالهمز وهي مستكرهة. فإن قلت: لم استكرهت والواو المضمومة قَلْبُهَا همزة قياس مطرد؟ قلت: ذاك في الواو التي ضمتها لازمة، وهذه عارضة لالتقاء الساكنين. وقرئ: «لترون» ولترونها: على البناء للمفعول ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته. ويجوز أن يراد بالرؤية: العلم والإبصار ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه. فإن قلت: ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه؟ فما من أحد إلاّ وله نعيم؟ قلت:

= للأخطل. وضمد رأسه: عصبه. وضمد جرحه: ألصق عليه الدواء. والضمد والضماد: الحقد، لكتمه في القلب والتزوج لضم المرأة إلى الرجل. والنكر: المنكر، ولن يخلص: بيان لوجه إنكار الضمد أي التزوج. والعام: نصب على الظرفية. ويروى: حليل بالمهملة وبالمعجمة. وعشرًا ـ بالكسر: أي معاشرة، وبفتحها: أي عشر ليال. وذاق الضماد: صفة حليل، فصلت عنه بالمفعول. وشبه الضماد بالمطعوم المكروه بحسب ما رأى على طريق الكناية، والذوق تخييل. وزيارة القبر: كناية عن الموت، أي: لن يخلص إلى أن يموت، ولا ينافيه التقييد بالعام لا مكان الموت فيه، ولعله كان جدبًا.

ينظر: لسان العرب (ضمد). وتاج العروس (ضمد)، جمهرة اللغة ص ٦٤٤، وتهذيب اللغة ٦/١٢.

(١) زار القبور، أي: مات. وفيه نوع تهكم به حيث كنى عن الموت المكروه عادة بالزيارة المحبوبة، والأم: أفعل تفضيل من اللؤم، أي: الخسة. والزوار: جمع زائر، أي: كان ألأم الأحياء، فأصبح ألأم الأموات.

البيت لجرير، ينظر: لسان العرب (كثر)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٧٧)، وليس في ديوانه.

هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلاّ ليأكل الطيب ويلبس اللين، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمّل نفسه مشاقهما؛ فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلاّ لعباده، وتقوّى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل، وكان ناهضًا بالشكر: فهو من ذاك بمعزل؛ وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما يروى: أنه أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماء فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» (١٧٩٤).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية» (١٧٩٥).

١٧٩٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٧) «غريب بهذا اللفظ». وقال الحافظ: لم أجده هكذا وهو مخرج من حديثين.

الأول: حديث جابر قال جاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطبًا وسقيناهم من الماء فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه». رواه أحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٥١، ٣٩١) والنسائي (٦/ ٢٤٦) كتاب الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث.

وابن حبان (٨/ ٢٠١) رقم (٣٤١١) وأورده السيوطي في الدر (٦). وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

والثاني: حديث أبي سعيد عند أبي داود في سننه كما ذكره الزيلعي (٤/ ٢٧٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفيه تخليط لعله من الناسخ. وهو يخرج من حديثين: أحدهما أخرجه النسائي وابن حبان والطبري وابن مردويه من حديث جابر قال «أكل رسول الله رطبًا وشربوا ماء. فقال: هذا من النعيم الذي تسألون عنه» وروى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال «كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين». انتهى.

١٧٩٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com